سيميائية الشخصية في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة) لستيفان زفايغ

for stefane zweig The semiotics of the character in the novel (Buchmendel)

أ.نوال عبدالله عايض الحارثي

المملكة العربية السعودية : جامعة جدة / كلية اللغات والترجمة

البريد الإلكتروني : nool4887@gmail.com

ملخص : تناولت هذه الدراسة سيميائية الشخصية في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة)، فجاءت للوقوف على أنواع الشخصيات في الرواية، وتسليط الضوء على دوال شخصيات الرواية ومدلولاتها، ومن ثم بيان تجليات شخصية البطولة في الرواية، واعتمدت الدراسة على المنهج السيميائي وفقًا لسيميائية الشخصية عند فيليب هامون، بالإضافة إلى الاستفادة من سيميائية غريماس، وذلك من خلال تطبيق إجراءاتها على شخصيات الرواية، ومن أهم نتائج هذه الدراسة: أسهمت مقاربة (فيليب هامون) للشخصية في الكشف عن جوانب متعددة، بدءًا من أنواعها ومواصفاتها وانتهاءً بالدلالة التي أوحت بها، ولم تبرز الرواية موقع السارد الذي برز راويًا غير مشارك في القصة يقدم الملامح العامة للشخصيات من خلال السرد، مسلطًا الضوء على أثر الحرب على الجميع، كما وظف الروائي العديد من الشخصيات ذات المرجعية الإجتماعية وأبرزها فئة البؤساء والفقراء والمهمشين الذين صنفهم في الطبقة السُفلى اجتماعيًا، نتيجة ما تعانيه من فقر ومعاناة وظلمٍ واضطهاد، وظهرت الشخصيات الاستذكارية الأكثر بروزًا، حيث بدت لها القدرة على التذكر و الاسترجاع، وساعد عرض الشخصيات على مقياسي هامون الكمّي والنوّعي في كشف الفروق بين الشخصيات وتحديد ملامح بعضها، وقد حققت شخصية (مانديل) البطولة من خلال عدد من الأساليب التي حددها هامون.

الكلمات الرئيسية : سيميائية شخصية ، رواية مانديل، الشخصيات الاستذكارية.

Abstract: This study addresses the semiology of the characters of the novel ‘Buchmendel”, authored by the Austrian writer Stefan Zweig, with the objective of identifying the character types and their respective significance and then describing the manifestations of the protagonist.

In this study, the researcher adopted the semiological approach in accordance with Philip Hamon's personality semiology and further in accordance with Greimas' Semiological Approach, whose basic procedures are then applied to the characters of the novel.

The main conclusion of this study is that Philip Hamon's approach based upon personality semiology significantly contributed to the revelation of many heretofore unrecognized aspects of the characters, commencing with a depiction of the types and features of the various characters and ending with their respective significance. This served to highlight characters like the "knowledgeable narrator" who, while not actually participating in the events of the novel, depicts the general features of the various characters. This study therefore furthers the vision of the narrator and the objective of the novel, which is to shed much needed light upon the tragic impact of the war even on those who never took part in it.

The writer created many socially referenced characters, of which the most prominent were the impoverished and the marginalized, symbolizing the lower classes of society and highlighting the abject poverty, the oppression and the injustices they suffered.

The novelist extensively used commemorative characters who had the ability to remember and recall past events, but it is Hamon's qualitative and quantitative scales that helped reveal the differences among the various characters and define their respective features.

It is thanks to the many devices employed by Philip Hamon, the we can understand how the character of the book peddler, Jakob Mendel, achieved protagonist status.

Key words: Semiology, Characters, Novel, Jakob Mende

المقدمة

يقوم العمل الروائي بعدّه جنسًا سرديًا على جملة من العناصر التي تتفاعل فيما بينها لإنجاح العمل الأدبي، ومن بينها "الشخصية " التي تعد المحرك الرئيسي لأحداث الرواية، فهي الأساس الأول الذي يحتل فكر الكاتب عند شروعه في بناء عمله الروائي، فيتخذ من هذه الشخصيات مجموعة من الشخوص تعرب عما يدور في خياله ويجسّد فكرته من خلالها وتساعده على فهم الأحداث وتصويرها.

وبناءً على هذه الأهمية التي تحتلها الشخصية في الخطاب السردي؛ آثرت أن يكون بحثي سيميائية الشخصية في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة) لستيفان زفايغ نظرًا لما اتسمت به الرواية من قيمة فنية وموضوعية تركزت في دراسة أثر الحرب على المجتمع.

مشكلة البحث:

تكمن إشكالية البحث في تجلية أنماط الشخصية ومعالمها في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة) لستيفان زفايغ؛ نظرًا لبروزها بصورة مؤثرة وجلية في نمو السرد الحكائي في الرواية ؛ لذا تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي أنواع الشخصيات الموظفة في الرواية ؟
- ما أبرز دوال الشخصيات ومدلولاتها في الرواية ؟
- كيف أثرت شخصية البطولة في توجيه الرواية ؟

أهداف البحث:

- الوقوف على أنواع الشخصيات في الرواية.
- تسليط الضوء على دوال الشخصيات ومدلولاتها في الرواية.
- الوقوف على معالم شخصية البطولة في الرواية .

أهمية البحث

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على سيميائية الشخصية في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة) لستيفان زفايغ؛ رغبة في توظيف البحوث التطبيقية السيمائية وكشفًا عن معالم التجريب في توظيف هذه التقنية.

منهج البحث: ستتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي مستعينة بالتقنيات السيميائية للشخصية عند فيليب هامون، وموظفة في الوقت ذاته البحوث الحديثة في سيميائية الشخصية.

حدود البحث:

الشخصية في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة) لستيفان زفايغ المنشورة في دار مسكيلياني للنشر والتوزيع في الجمهورية التونسية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسات تناولت رواية (مانديل بائع الكتب القديمة) بالتحليل ولكن هناك دراسات كثيرة عنيت بتتبع المعالم السيميائية للشخصيات أفدت منها، ومن ذلك **دراسة** سيميائية الشخصية في الرواية السعودية " للدكتورة الريم الفواز، وهي دراسة تقوم على تتبع مظاهر سيميائية الشخصية في الرواية السعودية ، ودراسة "بنية الشكل الروائي" للدكتور حسن بحراوي، ودراسة " بنية النص السردي " للدكتور : حميد لحميداني، والتي قام بنيانهاعلى تقديم مقاربة بنائية للنص السردي في صورة شاملة. كما استعنت بـ" معجم السيميائيات " لفيصل الأحمر، وهي دراسة تناول فيها الباحث تطبيقات سيميائية الشخصية عند فيلب هامون.

هيكل البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، ومدخل، وثلاثة مباحث، وخاتمة على النحو التالي:

- **المقدمة وتشمل:** مشكلة البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث، مصطلحات البحث.
- **مدخل ويشمل** : سيميائية الشخصية الروائية.
- **المبحث الأول:** أنواع الشخصيات في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة) .
- **المبحث الثاني:** دال الشخصية ومدلولها.
- **المبحث الثالث** : شخصية البطولة في الرواية.
- **الخاتمة** وضمنتها: أبرز النتائج والتوصيات

مدخل...

سيميائية الشخصية الروائية بين المفهوم والدلالة

تُعد الشخصية الروائية المركز الأساسي الذي ينطلق من خلاله العمل الروائي إذ هي الركيزة التي تضمن حركية النظام العلائقي داخله، والأداة الأساسية التي يستخدمها الروائي في تصوير هذه الأحداث والوقائع في اختياره للشخصيات.

وقد أولى الباحثون والدارسون أهمية قصوى للشخصية نظرًا للمقام الهام الذي تشغله في بنية العمل السردي منذ عصر أرسطو إلى العصر الحديث بوصفها عنصرًا مركزيًا في العمل الإبداعي، وقد تناولتها مجموعة من الدراسات النظرية في حقول معرفية مختلفة، وكان مفهومها مرتبطًا بالحقل الذي تنتمي إليه، ولكن ثمّة دلالة مشتركة بين مجموعة من الحقول والمدارس المختلفة التي تناولت الشخصية بالدراسة.(الفواز ،

٢٠١٥، ص:٢١)

وقد أحدثت هذه الدراسات ثورة على جملة من المفاهيم التي تتعلق بعناصر النص السّردي، وأكثر العناصر التي اشتد حولها النقاش هو عنصر (الشخصية الروائية) نظرًا لأهميته في الكشف عن تقنيات العمل الإبداعي؛ ونتيجة لهذا النقاش ظهرت مفاهيم مختلفة للشخصية، فبعد ما كان الدرس النقدي يعتمد على الصفات الظاهرة للشخصيات مما جعله يخلط بين الشخصية الروائية والشخصية في الواقع الحقيقي، أصبحت النظرة إليها مركزة على كونها كيانًا مُحملًا بالدلالات التي أبعدت فكرة تجاهل القصدية وراء تشكيلها والتي وصفها بحراوي في دراسته بسوء التفاهمات التي حالت دون تلمس حقيقة الشخصية الروائية.(بحراوي، ٢٠٠٩، ص:٢١)

مفهوم الشخصية الروائية :

ينبغي أن نميز أولًا بين الشخص (Personne) والشخصية (Personnage) فإذا كان الشخص يعني: الإنسان الفرد كما هو موجود في الواقع، ذلك الإنسان الذي يعيش في زمن معلوم، فإن الشخصية : علامة لسانية وكائن ورقي تنشئه المخيلة والكلمات، يستخدمه المؤلف ليوهم القارئ بصدق الواقع الروائي.(بحراوي، ٢٠٠٩، ص:٢١٣)

أما الشخصية الروائية فتعد وسيلة الكاتب لتجسيد رؤيته والتعبير عن إحساسه بواقعه، وهي "ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية وبدونها لا وجود للرواية؛ لذا تجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم :الرواية شخصية "(ماضي، ١٩٩٦، ص:٣٠) بحيث أن وجودها الواقعي يرتبط بتشكيل مفهومها التخييلي و دوره المحوري في الدلالة على واقعيتها.

ومن هنا نجد أن الدراسات السيميائية اهتمت اهتمامًا بالغًا بالشخصية الروائية، كونها دعامة العمل الروائي الأساس، كما تعددت الدراسات حولها، وذهب النقاد في ذلك مذاهب متباينة من حيث بنيتها وفعاليتها في الخطاب السردي .

وتعد جهود فيليب هامون بارزة في هذا المضمار(philippe hamon) فهو من الأوائل الذين سعوا إلى إبراز سمات الشخصية الروائية حيث خصص مقالًا خاصًا لمفهوم الشخصية وإجراءات تحليلها، كما أنه استفاد من آراء سابقيه وقدم خلاصة عامة لكل التصورات التي عرفها النقد الروائي في سنوات الستينيات والسبعينيات، وهو ما يتضح من الإحالات المتكررة على أعلام تنتمي إلى مدارس بمرجعيات مختلفة، إضافة

إلى أنه لم يكتف بالإشارة إلى المراجع وأرقام الصفحات كما جرت العادة بل قدم توضيحات كافية ودقيقة للمسائل التي استفاد منها. (الفواز، ٢٠١٥، ص:٣٥)

اقترح فيليب هامون بعض المبادئ العامة لدراسة الشخصية الروائية للحيلولة دون الالتباس والغموض اللّذَان ارتبطا بالدراسات السيكولوجية والاجتماعية للشخصية ليصبح مفهوم الشخصية نحوًيا لسانيًا ترتبط عبره الذات العاملة بالفعل وتمثيل الوظيفة، وأصبحت الشخصية تدرس من خلال ثنائية الدال والمدلول؛ بحيث ينظر لها على أنّها " علامة لها وجهان، أحدهما (الدال (Signifiant) (والآخر (المدلول) (Signifie وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث أنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها، أما الشخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النّص، أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها، وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته، ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع "، وبذلك تكون الشخصية بوصفها علامة في العمل الروائي تركيبًا جديدًا يقوم به القارئ أكثر من كونها تركيبًا يقوم به النّص.(لحميداني، ٢٠٠٣، ص: ٥١)

ومن هنا فقد أصبحت الشخصية بعدّها علامة كما يقول « فيليب هامون»: "يجري عليها ما يجري على العلامة، وظيفتها وظيفة اختلافية، إنها علامة فارغة، أي بياض دلالي لا قيمة لها إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد"، وهذا التعريف للشخصية مستمد من المفاهيم السيميائية التي تحيل إلى علامات ومن هذا المنطلق يحدد « هامون » للشخصية ثلاثة أنواع تابعة لأنواع العلامات، وهي:(هامون ، ٢٠١٣، ص: ١٤)

١. شخصيات مرجعية .

2. شخصيات إشارية.

٣. الشخصيات الاستذكارية.

وقد حدد هامون ثلاثة محاور تقوم عليها دراسة الشخصية في النص السردي، هي:

- دال الشخصية .
- مدلول الشخصية .
- مستويات وصف الشخصية . :(هامون ، ٢٠١٣، ص: ١٣)

واستطاع التمييز بين ثلاثة أنواع من العلامات : أولها علامات تحيل على مرجع، وثانيها علامات تحيل على محفل خاص بالتلفظ، وثالثها علامات تحيل على علامة منفصلة.(هامون، ٢٠١٣، ص: ١٧)

وعلى الرغم من أن مفهوم الشخصية عند هامون يتقاطع مع عدد النقاد الذين استفاد منهم إلا أن مفهوم الشخصية عنده أقرب إلى تحديد اللسانيات؛ فهو يحدده وفق مفهوم العلاقة اللغوية حيث يعتبر الشخصية مورفيمًا فارغًا سيمتلئ تدريجيًا كلما تقدمت القراءة؛ إذ لا قيمة للشخصية إلا من خلال انتظامها داخل نسق هو مصدر الدلالات فيها، ومنطلق تلقيها أيضا.

ومن هنا فقد كشفت لنا دراسة فيليب هامون عن اشتغال نظري عميق لمقولة الشخصية وأثارت قضايا دقيقة يتعلق بعضها بالتصنيف وبعضها الآخر بالخصائص المميزة للشخصية، ومجموع العلاقات التي تنسجها مع غيرها من الشخصيات، والسمات التي ترسم خصوصية حضوره داخل النص السردي.(الفواز، ٢٠١٥، ص: ٤٣)وعليه سنعتمد في هذه الدراسة لمكوّن الشخصية الروائية على الآراء النقدية التي طرحها، وصور تطورها بعد ذلك عند غريماس .

أنواع الشخصيات في رواية (ماندیل بائع الكتب القديمة) لستيفان زفايغ:

إذا أمعنا النظر في رواية " ماندیل بائع الكتب القديمة "، نلاحظ أن " ستيفان زفايغ " قد وظّف شخصياته بصورة اتسمت بتعدد أدوارها وتباين أبعادها وتقاطع بعضها في عناصر هامة ومركزية، بحيث تشكل في مجموعها القضية العامة التي يسعى الكاتب إلى طرحها ومعالجتها، وهي التعبير عن أثر الحرب حتى في من لم يشارك فيها، وذلك من خلال شخصيتين فريدتين كلتاهما حبيسة عالمها الخاص بها، انطلاقًا من شخصية ماندیل الذي عاش حياته في شغل تام عما يجري من حوله، وانتهاءً بشخصية هرمان العجوز الضرير الذي يملك تشكيلة أعمالًا فنية جمعها من عرق جبينه، ثم ألزمه فقدان بصره البيت، فلم يعد يدري أن الحرب والتضخم المالي أرغم أسرته على التفريط في لوحاته بأثمان زهيدة لضمان القوت.

ومن هنا نجد أن الشخصيات تؤدي أدوارها وتساهم في إشعار القارئ باشتداد اليأس والضيق والاغتراب، وإشعاره كذلك بأثر الحرب حتى لو لم يكن مشاركا فيها.

أولاً : أنواع الشخصيات وأبعادها :

تنوعت أنماط الشخصية عند (هامون) تبعًا لأنواع العلامات بين شخصيات مرجعيّة سواءً أكانت المرجعية تاريخية أو اجتماعية أو أسطورية أو مجازية (الأحمر ، ٢٠١٠، ص :٢١٨) وبرزت هذه

النماذج في الرواية المعنيّة بالدرس على النحو الآتي:

- **شخصيات ذات مرجعية اجتماعية** : حفلت الرواية بهذه الشخصيات التي تحيل على أخرى داخل النص الأدبي، في صورة نماذج اجتماعية، أو فئات مهنيّة، قد تظهر فعليًا داخل القص باعتبار أن بعض سماتها وملامحها وأفعالها مستقاة من مجتمع ذي وجود حقيقي .

وانطلاقًا من ذلك يمكننا تصنيف هذا النوع من الشخصيات داخل الرواية إلى **فئة البؤساء والفقراء والمهمشين** التي تعيش الفقر والحرمان وتعاني، من قسوة المعيشة، والملاحظ عليها أنها لا تبالي في سبيل كسب لقمة العيش بالاستجداء والمذلة، ومن ذلك:

- **شخصية ماندیل:** يبيّن وصف الراوي لهذه الشخصية أنها شخصية مغلوبة تعاني البؤس والفقر والشقاء، وتعيش حياة مفعمة بالقسوة التي ترغمه على اتخاذ الكتب أنيسًا له بدلاً من البشر، يقتات منها ما يقيم أوده ويسد حاجته في مجتمع مزدحم بالفوضى، وقد تحولت هذه الشخصية بفعل ظروف الفقر والبؤس إلى شخصية متشردة بائسة تثير الشفقة فملامحها "ملامح شخص أُخرج من القبر، فالسحنة رمادية والشعر رمادي أيضًا وكان شاحبًا شحوبًا يثير الشفقة "(زفايغ ، ٢٠٢٠، ص : ٣٥)، وهي صفات تعزز من التصنيف الاجتماعي للطبقة التي تمثله.

- **الشخصيات الاستذكارية** : "وهذا النوع من الشخصيات – كما يرى « هامون » – تكون فيها مرجعيّة النسق الخاص للعمل هي التي تحدد هويتها، حيث تقوم هذه الشخصيات داخل الملفوظ بنسج شبكة من الاستدعاء، والتذكير بأجزاء ملفوظية وذات أحجام متفاوتة، ووظيفتها تنظيمية وترابطية بالأساس". (الأحمر ، ٢٠١٠، ص : ٢١٨) والرواية تزخر بهذا النوع من الشخصيات من ذلك:

- الشخصية المحورية الرئيسية (شخصية ماندیل) التي اتخذت من الكتب والكتابة وسيلة للهروب من الواقع، حيث عملت على تدوين كل معلومات الكتب القديمة، وأصبحت بفضل ذلك مرجعًا لكل طالب وباحث في فيينا وخارجها، يحفظ عن ظهر قلب عناوينها وأسماء ناشريها وأسعارها جديدة ومستعملة، ويتجسد ذلك في قول السارد: " كان ذا ذاكرة جبّارة فسواءً صدر الكتاب أمس أو قبل مائتي عام بوسعه أن يتذكر دون تردد اسم مؤلفه، ومكان الإصدار، وثمنه جديدًا ومستعملاً، يتذكر

كل الكتب بوضوح عجيب " وفيما أطلق عليه الكاتب: " أنه لا يملك شيئًا عدا سحر التذكر الذي لا يُضاهى، لتلك الذاكرة التي لايمكن الإحاطة بها إلاّ بعد أكثر من مائة تجربة مختلفة". (زفايغ ، ٢٠٢٠، ص :١٦)

- **شخصية هرمان** : هي شخصية تسترجع بعض أحداث الماضي التي تتعلق بلوحاته الثمينة فيصف أعماله الفنية – على الرغم من أنه كفيف– من خلال ما تسترجعه ذاكرته في الماضي حيث يقول في وصف إحدى لوحاته :" ينبغي أن أُريَك الماليخوليا و آلام المسيح، إنها نسخة مزوّقة تكاد تكون فريدة بجودتها هذه، انظر ألا ترى هذه النَّضارة وهذا اللون الساخن وهذا النسيج اللطيف ؟ "(زفايغ ، ٢٠٢٠، ص:٦٠)

- **شخصية سبورتشيل** : هي الشخصية التي عادت بها الذاكرة إلى اليوم الذي أُلقي فيه القبض على ماناديل وما آلت إليه حاله بعد خروجه من السجن حيث تجسّد ذاكرتها ذلك الحدث فتقول:" إليك ماحصل : في بداية الحرب وحتى بعدها ظل يأتي كل يوم في الساعة السابعة والنصف صباحًا، فيجلس هنا بالضبط، إلى هذه الطاولة .. "(زفايغ ، ٢٠٢٠، ص :٢٧)

إن هذه الشخصيات الاستذكارية تلقي الضوء على الحاضر لأنها بمثابة شهادة حيّة على ماجرى لماناديل ولوحات سبورتشيل، وقد أضفت تلك الشخصيات بدورها على النص دلالات عميقة وشحنت ذهن القارئ بأفكار مفيدة، وجعلته يفهم النص، ويعي مختلف العلاقات الخفيّة التي يحفل بها الراوي كرموز وإشارات.

دال الشخصيات ومدلولها

ينظر " فيليب هامون" إلى الشخصية الروائية على أنها دليل، يجري عليها ما يجري على الدليل اللساني " إنها الشخصية على غرار العلامة اللسانية وحدة منفصلة بشكل مزدوج، وتتجلى من خلال دال متقطع، يحيل على مدلول متقطع، وتعتبر بهذا جزءًا من جذر أصلي تقوم الارسالية ببنائه، فالدال يتحدد من خلال اسم العلم، ومن خلال التحديدات الأخرى، ويستخرج المدلول من شبكة المسارات الدلالية التزامنية، التي

تحيل على هذه الشخصية، بعد هذه الإشارة، نتعرف الآن على كل مستوى من المستويات المذكورة من الشخصية " خلال ما توفره الرواية من مادة من ناحية، ومن خلال ما وفرته لنا هذه المقاربة من إجراءات من ناحية أخرى.(النعيمي ، ٢٠٠٩، ص : ١٧٠)

١-تحديد مؤهلات الشخصية وصفاتها

يقرر الروائي نوعية الصفات التي يمنحها
لشخصياته، كما يحدد دلالة القرائن المسندة إليها؛ لذا لابد من معرفة كيف يقيم علاقات منطقية متلاحمة بين وجود الشخصية المظهري والباطني وبين السياق الاجتماعي والايديولوجي الذي يندرج فيه ذلك الوجود، ولفهم تكوين الشخصية وبنائها سنلجأ إلى مقياسين أو معيارين حددهما "فليب هامون" وهما:(بوداب، ٢٠١٦، ص : ٩٧)

١-**المقياس الكمي**": الذي يقيس وضوح الشخصية استنادًا إلى كمية المعلومات التي يقدمها الراوي عنها، وبإخضاع للشخصيات في الرواية لهذا المقياس نجد الكاتب يعمل على تنميق شخصياته بصفات داخلية وخارجية، تتعلق بمظهرها الخارجي، مثل الملامح الجسدية: من جمال وقبح، وطول وهيئة، وفق مايظهره التمثيل الآتي:

وبتأمل الشكل السابق يمن القول إن شخصية "ماندیل" أكثر حضورا في المتن الروائي من الشخصيات الأخرى، وهذا ما تؤكده نسبة المعلومات المتواترة عنه، أما بقية الشخصيات فهي تقترب من بعضها البعض في نسبة تواترها إذ لا يعد الفارق بينها كبيرًا.

٢-المقياس النوعي :

يبحث هذا المقياس في مصدر المعلومات المتواترة عن شخصية معينة، هل هي مقدمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لقد كان هدف الراوي في الرواية تسليط الضوء على أثر الحرب على الجميع، وذلك بتوظيفه لشخصيتي " ماندیل و هرمان "، التي كان لهما الحظ الأوفر من التقديم، وبصورة قلصت من مساحة ظهور الشخصيات الأخرى؛ فهي لا تنهض بوظائف سردية تميّزها، وتكون لها برامج سردية خاصة.

ونوضح تطبيق المقياس النوعي على مصادر المعلومات الخاصة بصفات الشخصيات في الجدول الآتي:

الشخصية	صفات الشخصية ومصدرها	الصفحة
ماندیل	كان هذا المسمى ماندیل يجلس مرتديًا الأسود، والأنف مدجج بنظارة والوجه أشعث، وهو يقرأ متمايلاً .	١٣
	رفع نظارته المعدنية الثقيلة إلى جبينه، وتحت حاجبيه الكثّين اللذين خطهما الشيب .	٣٤
	ماندیل الذي ظل بعد أن هُشمت نظارته ولم يكن لديه نقود كي يقتني واحدة أخرى قابعًا في ركن أخرس شاحبًا كالخلد.	٤٠
	رفع نحوي عينيه، انتفض وبدأ يرتعد ليس من جهة يديه فقط وإنما يرتعد من كامل جسده فوقع هناك مغشيًا عليه.	٤٠

السيدة سبورشيل	كان شعرها الأبيض منتفشًا، وكانت تفرك يديها الحراويين النديتين بخرقة، وقد بدا عليها أنها مصابة بمرض الاستسقاء.	٢٦
هرمان	في وسط القاعة رجل متين البنية، ذو شارب أشعث، حُشِر جسده في مِبذل مثل جنديّ في زيّه، نهض باسطًا يديه بمودة.	٥٠
ماري	كلما همّت بالكلام احمرّ وجهها القَلِق حتى أذنيها، وتقبّضت يداها على طيات فستانها .	٥٤

وباستقرائنا لأشكال تقديم المعلومات حول الشخصيات ووصفها على ضوء المقياس النوعي نستخلص أنها ترتكز على شخصية**(ماندیل)** : الذي يعد المصدر الأساسي للمعلومات المتعلقة بمعظم الشخصيات من خلال ما قدمه من تعليقات وتعقيبات كشفت عن صفات الشخصيات ومؤهلاتها، سواءً كانت إيجابية أو سلبية، إضافة إلى القدر اليسير من المعلومات التي وردت على لسان الرواي والشخصيات الأخرى في الرواية.

لقد قدم الراوي رؤيته للشخصيات دون المشاركة في الأحداث حيث ركّز في تقديمه على الشخصية المحوريّة، التي تبدّى في الرواية تعاطفه معها ومساندتها؛ ثم جعلها في كل أجزاء الرواية تعبر عن حالتها ومشاعرها وأفكارها، في حين لا يترك مجالًا للشخصيات الأخرى للتعبير عن نفسها، ومن هنا يتضح موقع السارد في هذه الرواية فهو راوٍ (عليم) غير مشارك في القصة يقدم الملامح العامة للشخصيات، ويُبدي رأيه في أفعالها ومواقفها .

المبحث الثالث

شخصية البطولة في رواية (مانديل بائع الكتب القديمة)

إن مصطلح البطل ليس حديثًا، بل راسخًا في القِدم، اتصل بالأدب الشعبي والأساطير، ففي الأساطير كان البطل هو الشخص الذي يتصف بمجموعة من الصفات الخارقة التي تصل في بعض الأحيان إلى ما هو غير عادي؛ لذا كان مصطلح البطل أكثر تناسبًا مع طبيعة الثقافات القديمة ورؤاها ومنظومات قيمها، وفي القرن التاسع عشر صار البطل هو ذلك الشخص الذي يتصف بمجموعة من الفضائل كالشجاعة والقوة والكرم لذلك فمفهوم البطل كان مستقرًا في ضمير الشعوب.(الصادق قسومة ، ٢٠٠٩، ص : ١٨٠-١٨١)

وقد ظلّ تمييز البطل عن سواه من الشخصيات مُلبس، إذ لا يدرى أيعود تمييزه إلى كثرة ظهوره في النّص، أم يعود إلى كونه فاعلًا ذاتًا منتصرة إزاء مُعارض مهزوم، أم يعود إلى علاقته الدائمة بمواضيع إيجابية أو منفّرة ؟ وقد أشار هامون إلى ذلك بقوله : " ليس هناك من مفاهيم تتميز بالغموض وعدم الدقة في التحديد مثلما هو الحال مع مفهوميّ البطل والشخصية فهما يُستعملان بدون اكتراث للدلالة على بعضهما البعض".

(هامون ، ٢٠١٣، ص : ٣٢)

ثم يثير هامون أسئلة أثناء سعيه لتحديد مفهوم البطل : "فمن هو بطل الحكاية ؟ وبماذا يتميز البطل ؟ وهل يمكننا الحديث عن البطل في حالة وجود ملفوظ غير أدبي ؟ وما هي المعايير التي نعتمدها في تحديد البطل ؟ وكيف نميز الأساسي عن الثانوي ؟ وكيف نميز بين السعادة والشقاء وبين الفشل والانتصار ؟ ثم يجيب على تلك الأسئلة بقوله: إن السميولوجيا بمفهومها الضيّق (سميولوجيا وظيفية ومحايثة لموضوعها) أو منطق الشخصيات (بمفهوم ألكسندر يسكو)، قد لا يهتمان بهذا المشكل، وتحيلانه على:

1. سوسيولوجيا أو علم القيم (مشكلة استثمار القيم الإيديولوجية داخل ملفوظ ما هي مشكلة تتعلق إذن بتلقي النص، وبتحديد هوية القارئ وإسقاطاته، إن الأمر يتعلق بمتغيرات تاريخية وثقافية).
2. أسلوبية (تحيلنا هذه الفعالية على أساليب سطحية تستبعد البنية العاملية العميقة للملفوظ)، وبالفعل فإن الأمر يتعلق بمغالاة وتحديد مسبق للملفوظ عبر عوامل خاصة تركز على هذه الشخصية أو تلك اعتمادًا على أساليب مختلفة (الفواز، ٢٠١٥، ص:٣٥٢)

وعليه يحيل هامون الأساليب الخلافية المستعملة في تحديد البطل إلى أساليب يمكن الإمساك بها واستيعابها داخل التحليل المحايث للملفوظ، وهي: (الفواز،٢٠١٥، ص:٣٥٢)

- التوصيف التفاضلي .
- التوزيع التفاضلي .
- الاستقلال التفاضلي .
- الوظيفة التفاضلية .

مفهوم البطل في الرواية :

يعد البطل ضرورة مُلحة للعمل الروائي، وهو تلك الشخصية التي تلعب دورًا رئيسًا، من خلال مجموعة من المتناقضات المتفاعلة، وتتشكل أهمية البطل من مدى تأثيره فيمن حوله، ومن الدور الذي يؤديه في المجتمع.(وهبة والمهندس،١٩٨٤، ص:٧٨)

ويمكن القول إن البطل هو شخصية من شخصيات العمل الروائي، فهو شخصية مركزية أو محورية، إذ تمثل صورة البطل " الشخصية المُحتلة لمركز كثافة القص؛ لتعكس بُعدًا من أبعاده، وبالتالي، هي من يَنصب عليها اهتمام الملقي والمتلقي معًا".

وقد أشار هامون إلى أنه يمكننا التعرف على البطل / (الذات) من خلال مجموعة من الأساليب، وهي: التوصيف التفاضلي والتوزيع التفاضلي، والاستقلال التفاضلي والوظيفة التفاضلية (أجماهري،١٩٨٩، ص: ١١٩) ، وسنعتمد هذه الأساليب في التطبيق على الرواية المعنية بالدرس؛ بغية الوصول إلى معرفة آليات حضور البطل في هذا المتن الروائي .

التوصيف التفاضلي Qualification différentielle :

ويحدد هامون مجموعة من المواصفات التفاضلية التي تميز البطل أو الشخصية الرئيسة عن باقي الشخصيات الأخرى، من خلال مجموعة من القيم التفاضلية التي تحدد بطولة الشخصية الرئيسة بالنسبة للشخصيات الأخرى المساعدة أو المعاكسة، بحيث " تكون الشخصية من خلالها سندًا لمجموعة من المواصفات التي لاتملكها الشخصيات الأخرى، أوتملكها بدرجة أقل "(هامون،٢٠١٣، ص:٣٤)

لقد سبق الإشارة إلى وفرة الأوصاف والصور التي تحققت في شخصية(ماندیل) بعدّه بطلا للرواية، وهي صفات أهلته ليصبح مرجعًا لكل طالب وباحث في فيينا وخارجها :

" ليس لجاكوب ماندیل أن ينسى عنوانًا ولا تاريخًا أبدًا، كان يعرف كل نجم، وكل نبتة وكل نقاعية في

كون البيلوغرافيا المتحرك والمتبدل، وفي أي مجال "(زفايغ، ٢٠٢٠، ص:١٦)

لذلك اهتم الكاتب بوصف ملامح هذه الشخصية البطولية على امتداد الرواية، وجعل أحداثها تدور حول شخصية (ماندیل) الذي لجأ إلى النمسا وعاش حياته حبيس عالمه الخاص في شغلٍ تام بكتبه التي بات مهووسًا بها، حتى بدأت الحرب وحلت المأساة عليه حين دخل دركيّ من البوليس السري وقام بإرساله الى المُعتقل الروسي، ومن المُعتقل إلى الموت .

وقد كان هناك شخصيات أخرى حاضرة حضورًا جزئيًا أو مرحليًا في الرواية مثل : السيدة سبورشيل التي ظلت تخدم العجوز ماندیل وتدافع عنه طيلة الوقت، والعم هرمان التي بيعت أعماله الفنية دون أن يعلم التي جمعها من عرق جبينه، وماري الابنة التي ظلت في قلق أن يعلم والدها بأمر تلك الأعمال الفنية.

إضافة إلى شخصيات كانت حاضرة لغرض وظيفي مُحدد بأسمائها وحواراتها أو أحاديثها ولم يهتم الراوي بوصفها مثل: (السيد ستندارتنر) صاحب الفندق، و (دوبلر) رئيس الندل، و (فلوريان) المالك الجديد للفندق .

وبذلك تظهر العلاقة طردية بين الدور الوظيفي للشخصية والمساحة الممنوحة لها تفاضليا في الرواية.

التوزيع التفاضلي Distribution différentielle

ناقش هامون مصطلح التوزيع التفاضلي للدلالة بعدّه تقديرًا لظهور الشي بصورة أكثر تواترًا في اللحظات المميزة في القصة، وضرب لذلك أمثلة منها الشخصيات التي تظهر في اللحظات الحاسمة عن تلك التي تظهر في لحظات غير مهمة ورجّح لها أدوار البطولة، كما فرز الشخصيات التي تظهر بشكل مستمر عن تلك التي لها ظهور يتيم أو على فترات، حاسمًا البطولة لتلك التي تظهر باستمرار.(هامون،٢٠١٣، ص: ٣٤)

لذا فالتوزيع التفاضلي في رأي هامون يقوم أساسًا على الظهور في اللحظات الحاسمة للحكاية سواء أكان ذلك في البداية أو النهاية، أو حضور في المقاطع الحكائية عبر سرد تجارب أساسية، أو حضور مبني على تعاقد بدئي، كما يتم الإشارة إلى الظهور المستمر للبطل، بينما الشخصيات الأخرى تظهر في اللحظات غير المهمة واصفًا انتقالها بين أماكن غير موسومة، كما أن حضورها باهت أو على فترات متقطعة .

وسيتم تطبيق ذلك من خلال درجة ظهور شخصية البطل في رواية (ماندیل بائع الكتب القديمة) ودرجة اهتمام الروائي بها، ففي هذه الرواية نجد أن البطل (ماندیل) هو الشخصية الأكثر حضورًا، حيث كانت حاضرة من بداية الرواية إلى نهايتها محورًا للحكاية مما جعل حضوره مستمرًا، لذا مرّ ظهوره بعدة مراحل

مفصلية على النحو الآتي :

مرحلة ما قبل الحرب: بيع الكتب القديمة في (مقهى غلوك)

"لم يكن جاكوب ماندیل، إذا وضعنا في الحسبان مهنته ، ونظرة الذين لا دراية لهم بالكتب، سوى تاجر كتب صغير. وكل يوم أحد كان يظهر على صفحات « الصحافة الحرة الجديدة » وفي « أخبار فيينا اليومية » هذا الإعلان النمطي : « أشتري كتبًا قديمة» «الرفع فوريًا من محل الإقامة» «شارع ألسر الأعلى» يلي ذلك رقم هاتف هو في الواقع رقم مقهى غلوك، كان ماندیل ينقب في جميع مخزونات الكتب وكل أسبوع، يحمل غنيمته إلى مقره الرئيس بمساعدة حمّال عجوز ذي لحية إمبراطورية ثم يتخلص منها، لأنه لا يملك رخصة؛ ولذلك ظل مجرد تاجر سقط بسيط، لا يكسب سوى أرباح ضحلة، كان الطلبة يبيعونه كتبهم المدرسية ".(زفايغ،٢٠٢٠، ص:١٨)

مرحلة بداية الحرب : اعتقاله في المعتقل الروسي

" إليك ماحصل : في بداية الحرب ، وحتى بعدها ظل يأتي كل يوم في السابعة والنصف صباحًا، فيجلس هنا بالضبط، ثم جاء يومٌ حلت فيه المأساة في الساعة الحادية عشرة صباحًا، أي في وضح النهار، حين دخل دركيّ وعون من البوليس السري استظهر بشعاره من على ثنية سترته، وسألا هل يتردد شخص يدعى جاكوب ماندیل على هذا المكان فاقتيدا إلى طاولة ".(زفايغ،٢٠٢٠، ص:٢٧)

"نزل المدرج إذن هادئ البال والجنديّان يخفرانه، وفي مركز الشرطة أخرجوا من جيبوبه كل الكتب، وصادروا دفتره الذي يحوي مئات المذكرات والعناوين الهامة، حينها فقط قاوم بحنق، فاضطروا إلى السيطرة عليه فسقطن للأسف ! نظارته ، ذلك المنظار السحري الذي كان يربطه بالعالم الفكري، وتهشمت شظايا. بعد يومين، أرسلوه وهو في معطه الصيفي الخفيف، إلى معتقل للمدنيين الروس قرب كومورن".(زفايغ،٢٠٢٠، ص:٣٢)

مرحلة نهاية الحرب : خروجه من المعتقل والعودة إلى مقهى غلوك

"وبالتضامن المتحمس لكل هواة المجموعات، استطاع صاحب السمو، والعميد أن يستغلاّ علاقاتها إلى أقصى حد، وبفضل تضامنهما معًا، أمكن لماندیل بائع الكتب القديمة أن يعود إلى فيينا عام 1917 بعد اعتقال دام عامين، شريطة أن يذهب إلى الشرطة كل يوم. وبغض النظر عمّا حدث، صار بإمكانه مرة أخرى أن يتنقل بحرية، ويقيم في غرفته الرخيصة القديمة، وأن يمر أمام رفوف الكتب، وأن يستقر خاصة في مقهى غلوك من جديد ".(زفايغ،٢٠٢٠، ص:٣٤)

مرحلة مابعد الحرب : الفقر والتشرد

" لقد نفد كل ما لديه، وهذا واضح من عدة مؤشرات. صار نادرًا ما يطلب أكلاً من المطعم المقابل، ويتأخر في تسديد ثمن قهوته وأرغفته، وفي إحدى المرات دام التأخير ثلاثة أسابيع . أراد رئيس الندل طرده، ولكن السيدة سبورشيل الطيبة، أشفقت عليه، ودفعت عوضا عنه ".(زفايغ،٢٠٢٠، ص:٣٧)

مرحلة النهاية : وفاة ماندیل

"انتفض وبدأ يرتعد ليس من جهة يديه فقط، وإنما يرتعد من كامل جسده، وكنا نرى ذلك من كتفيه، ثم اتجه إلى الباب مترنحًا فوقع هنالك مغشيًا عليه . اتصل أحدهم ببوليس النجدة الذي لم يتأخر في المجيء، فحمله وهو محموم . في ذلك المساء نفسه، توفي نزلة صدرية في الدرجة النهائية، قال لنا الطبيب، وقال أيضًا إنه لم يعد يعرف بالضبط ماذا يفعل حينها عاد مرة أخرى إلى المقهى. شيء ما دفعه دفعًا كالمسرنم".(زفايغ،٢٠٢٠، ص:٤٠)

ويتضح مما سبق أن (ماندیل) من خلال ظهور المستمر في الرواية منذ بدايتها وحتى نهايتها يحقق البطولة، أما بقية الشخصيات الأخرى بما فيها الشخصيتان (السيدة سبورشيل) و (السيد ستندهارتنر) فقد كان ظهورهما مرتبطًا بظهور شخصية (ماندیل)، كما أنهما لم تظهرا إلا برفقة شخصيات أخرى، لذا ظهر جليًا أن شخصية (ماندیل) هي الأكثر حضورًا في الرواية .

الاستقلال التفاضلي Autonomie diférentielle :

يشير مصطلح الاستقلال التفاضلي إلى أن الشخصيات لا تظهر في فضاء النص إلا وهي مع شخصية أو شخصيات أخرى، في حين يظهر البطل منفردًا أو مع أية شخصية أخرى، فـ " هناك شخصيات لا تدخل إلى الخشبة النصية إلا مرفوقة بشخصية أو شخصيات أخرى، أي في مجموعات ثابتة : شخصية تستدعي أخرى في حين لا يظهر البطل إلا منفردًا أو مع أية شخصية أخرى".(هامون،٢٠١٣، ص:١٨٧)

وتتم الإشارة إلى هذه الاستقلالية، وإلى هذه القدرة الترابطية من خلال كون البطل يمتاز في الوقت نفسه بالحضور الداخلي وبالحوار، في حين لا تمتاز الشخصية الثانوية إلا بالحوار .

وعليه، فالاستقلال التفاضلي يقوم على تفرد البطل وتميّزه وظائفيًا، وانتقاله في المكان والزمان بكل حرية، ويمكن أن ترتبط به بعض الشخصيات الثانوية لحاجة، ويعتمد في تواصله على الحوار والمناجاة.(الفواز،٢٠١٥، ص:٣٨٢)

وإذا أردنا تطبيق ذلك على الرواية نجد أن شخصية (ماندیل) تميزت بالحضور المستقل " كان يحظى طبعًا